فلا يغرُرْكَ زخرفُ ما تراهُ وعيشٌ لَيِّنُ الأطرافِ[1] رَطْبُ
إذا ما بُلْغَةٌ جاءتْكَ عفواً فخُذْها فالغنى مرعى وشُربُ[2]
إذا حصلَ القليلُ وفيه سِلْمٌ فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حربُ

[وذكر جدي هذه الأبيات الخمسة، ووقفت على ثلاثة أبيات، ولم يذكر هذه الثلاثة منها]:

ولكن في خلائقها نِفارٌ ومطلبُها بغيرِ الحظِّ صعبُ
كثيراً ما نلومُ الدهرَ فيما يمرُّ بنا وما للدهر ذنبُ
ويُعتِبُ بعضُنا بعضاً ولولا تعذُّرُ حاجةٍ ما كان عَتْبُ

[وفيها تُوفِّي]

المُفضَّل بن محمد بن مِسْعر[3]

أبو المحاسن، التنوخي، المعرِّي، الفقيه، الحنفي، ناب في القضاء بدمشق عن ابن أبي الجِنّ، وولي القضاء ببعلبك، قرأ الفقه على القُدوري، والأدب ببغداد على علي بن عيسى الرَّبَعي، وعاد إلى الشام، وصنَّف «تاريخ النُّحاة وأهل اللغة»، وتُوفِّي بدمشق، وكان فاضلاً جليلاً نبيلاً نزِهاً عفيفاً صدوقاً.

السنة الرابعة والأربعون وأربع مئة

فيها برز محضرٌ من ديوان الخليفة بالقَدْح في أنساب المصريين، وأنهم دِيصانية[4] خارجون عن الإسلام، من جنس المحضر الذي برز في أيام القادر، وأخذ فيه خطوط القضاة والشهود والأشراف وغيرهم.

---

(١) في المصادر: الأعطاف.

(٢) في (م) و(م١): وخصب.

(٣) تاريخ دمشق ٦٠/ ٩١ـ٩٢ ، و معجم الأدباء ١٩/ ١٦٤ . وتحرف في النجوم الزاهرة ٥/ ٥٢ اسم جده إلى: مسعود.

(٤) الدِّيصانية: أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين: نوراً وظلاماً، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً. الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٠ .

وفيها كانت بأَرَّجان والأهواز زلازلُ عظيمةٌ ارتجَّت منها الأرض، وقُلِعت الجبال، وخربت القلاع، فحُكي أن رجلاً كان جالساً بأَرَّجان في إيوان داره، فانفرج حتى رأى منه السماء، ثم عاد إلى حاله، وامتدَّت هذه الزلازل إلى قنطرة أرْبَق[1] فأخربَتْها، وغاض ماءُ البحر من الأُبُلَّة ثلاثة أيام، ثم عاد.

وفيها استولى طُغْرُلْبَك على هَمَذان ونواحيها، وطمع في قصد العراق، وكُوتِبَ منها بالقدوم إليها سراً، فتوقَّف بسبب خوفه على البلاد من الغُزِّ.

ولم يحجَّ أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن علي[2]

ابن محمد بن علي، أبو علي، التميمي الواعظ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وسمع الحديث الكثير، وروى «مسند الإمام أحمد» رحمة الله عليه عن القَطيعي، وتُوفِّي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، ودُفِنَ بباب حرب، وروى عنه أبو القاسم بن الحصين «مسند الإمام أحمد» وغيره، وكان خَيِّراً دَيِّناً لا يُعرف منه إلا ذلك، وقد غمزه الخطيب.

[وفيها تُوفِّي]

رشأ بن نظيف بن ما شاء الله[3]

أبو الحسن، أصله من المعرَّة، وسكن دمشق، [قرأ القرآن على جماعة من أهل الشام والعراق ومصر بروايات كثيرة، وقرأ بدمشق على الحسن بن داود الداراني

(١) أرْبَق، ويقال: أرْبَك ـ بالكاف ـ: ناحية من نواحي رامهُرْمُز من نواحي خوزستان. معجم البلدان ١/ ١٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠، والمنتظم ٥/ ٣٣٦ـ٣٣٧.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ١٤٨-١٤٩.

بحرف ابن عامر، وقرأ عليه جماعة]، وانتهت إليه رئاسة القراءة في حرف ابن عامر، وكان زاهداً عابداً ورعاً، وتُوفِّي بدمشق في المُحرَّم، ودُفِنَ بالباب الصغير، [سمع عبد الوهَّاب الكلابي وعبد الوهَّاب الميداني والشريف أبا القاسم الميمون بن حمزة الحسني وخلقاً كثيراً، وروى عنه أبو علي الأهوازي وغيره]، وأجمعوا على فضله وصدقه، وثقته وأمانته، [وجميل طريقته].

[وفيها تُوفِّي]

سهل بن محمد بن الحسن

أبو الحسن، الفاسي، الصوفي، سمع الكثير وحدَّث بالعراق ودمشق وصور، وكانت وفاته بمصر، ومن شعره: [من الطويل]

إذا كنتَ في دارٍ يُهينُكَ أهلُها ... ولم تَكُ محبوساً بها فتَحوَّلِ
وأيقِنْ بأنَّ الرزقَ يأتيك أينما ... تكونُ ولو في قعرِ بيتٍ مُقفَّلِ
ولا تَكُ في شَكٍّ من الرزقِ إنَّ مَنْ ... تكفَّلَ بالأرزاقِ فَهْو بها مَلِي

وقال: [من المتقارب]

كفاني لذنبيَ عند الإله ... محمدٌ المصطفى شافعي
وقَولي بمذهبِ أهلِ الحجاز ... ورأيِ ابنِ إدريسٍ الشَّافعي

وقال: [من الوافر]

شفيعي في القيامةِ عند ربي ... محمدٌ النبيُّ الهاشميُّ
وقُدوتيَ الذي اختارَ ربي ... محمدٌ الإمامُ الشافعيُّ

قال المصنف: ومرَّ بي بيتان في هذا المعنى: [من الخفيف]

[مَنْ أراد الهدى بقولِ ابنِ إدريـ ... ـسَ هداهُ وأين كالشافعي][1]
وشفاءُ العِيِّ السؤالُ وأنَّى ... بإمامٍ سواهُ كشَّافِ عِيّ

(١) هذا البيت من الوافي بالوفيات ٢/ ١٨٠.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أحمد بن محمد[١]

أبو جعفر، السِّمناني، ولد سنة إحدى وستين وثلاث مئة، وسكن بغداد، وسمع الحديث، وداخل بني بويه، وعاشر الوزراء، وصنَّف الكتب، وكان فاضلاً سخياً، وولي قضاء الموصل، ومات بها وهو على قضائها في ربيع الأول بعدما أضرَّ، وكان يعتقد الأصول على مذهب الأشعري.

السنة الخامسة والأربعون وأربع مئة

فيها وصل الغُزُّ[٢] إلى حُلوان، فقتلوا وسَبَوا، واضطربت بغداد؛ [لأنه لم يكن بها من يدفعهم، ونقل معظمُ الناس رحالهم إلى الجانب الغربي]، وأظهروا أنهم قاصدون بغداد، ثم انكفؤوا راجعين [حيث جاؤوا]، ويقال: إن طُغْرُلْبَك هو الذي نهاهم عن قصد بغداد.

وفيها وقف طُغْرُلْبَك رحمه الله بنيسابور على مقالة الأشعري، [وكان طُغْرُلْبَك على مذهب أبي حنيفة، فأمر بلعن الأشعري][٣] على المنابر وقال: هذا يُشعر بأن ليس لله في الأرض كلام، فعزَّ ذلك على أبي القاسم القُشيري، وعمل رسالةً سمَّاها «شكاية أهل السُّنَّة لما نالهم من المحنة»، وقال فيها: أيُلعن إمامُ الدين ومُحيي السُّنَّة؟ وأنكر أصحابُ الأشعري بنيسابور مقالة الأشعري، وقالوا: هذه المقالة مُحال[٤]، فقال طُغْرُلْبَك رحمه الله: نحن إنما نوغر بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالات، فإن لم تَدينوا بها ولم يكن الأشعري قال شيئاً منها فلا عليكم مما نقول. قال القشيري: فأخَذَنا

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٥، والمنتظم ١٥/ ٣٣٨.

(٢) تحرفت في (خ) إلى: العراق، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر.

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) في (ف): مخالفة.